المركز العربي للمعلومات

تشكيل

متحف سرسق يحتفل بأعمال الرائد التشكيلي عمر أنسي مستعيداً كل محطاته الفنية

البيروتي المأخوذ برومنسية الريف وبالحداثة... معلم المائيات

بعد ثمان وعشرين سنة على رحيله يجد الجيل الجديد في لبنان مناسبة للتعرف الى ابداع الفنان التشكيلي اللبناني الرائد عمر الانسي (١٩٠١-١٩٦٩)، من خلال معرض يقام في متحف سرسق لغاية ١٤ نيسان المقبل. ويضم ٢٥٦ لوحة، موزعة على مراحله المختلفة، التي بدأت منذ العام ١٩١٩ في بيروت وانتهت فيها، عام وفاته. وتشتمل كل التقنيات التي اشتغل بها لوحته، من مائية وزيتية وطبشورية وحبر صيني وقلم رصاص... اضافة الى برونزية ومنحوتة جبصين، وثالثة فخارية.

ان تكريم متحف سرسق لواحد من مؤسسي الفن التشكيلي في لبنان بهذا المعرض / التظاهرة الفنية، يقع في اطار عمل ثقافي عظيم الفائدة، لجهة عدد الاعمال المعروضة وتمثيلها الحقيقي لتجربة الفنان، وطباعة كتاب يضم صوراً عنها، ويضم مقالات في سيرة الانسي الفنية.

ان عملا بهذا الحجم، لا يقع موقعا تجاريا، يشكل ظاهرة لافتة للانتباه، في مسيرة المتحف وتجربة ناجحة يمكن ان يكررها المتحف مع مؤسسين آخرين، او يكررها القيمون على الثقافة والفن. وقد بذل جهد كبير في جمع هذا العدد من اللوحات من ٣٩ مقتنيا بينهم شخصيات سياسية امثال صائب سلام ووليد جنبلاط ونسيب لحود وتمام سلام وغسان تويني ورمزي سعيدي. ولعل العدد الاكبر من تلك المقتنيات كان من طبيب الفنان، الدكتور علي رعد، الذي عرضت مجموعته المؤلفة من سبعين لوحة.

وجوه

اعمال السنة الاولى في تجربته (١٩١٩) ضمت مجموعة متنوعة بين الذاتية والمشهد الطبيعي والشخصيات، وهي تنوعت ايضا في تقنياتها بين استخدام المادتين الزيتية والمائية وقلم الرصاص، في اشارة الى ان التقنيات التي استخدمها في البدايات استمر في استخدامها في مراحله المختلفة، من دون ان يهجر تقنية او يغلب اخرى بشكل ملحوظ.

واذا كانت اللوحة الاولى المعروضة التي تحمل رسما ذاتيا للفنان (١٩١٩) وهي اللوحة الاولى في الكتاب، فإن اللوحة المؤرخة في العام ١٩٦٩، عام وفاته، كان موضوعها الوجه ايضا (وقد ختم فيها الكتاب)، فالوجوه بدت كثيرة في المعرض، من الذاتية، الى وجوه الاسرة والاصدقاء والفلاحين والبدو والزعماء والناس العاديين.

تبدو وجوه الفنان الذاتية وكأنها دراسات متفاوتة مع تعاقب الزمن على ريشته، باحثة في تقلبات الدهر عليه، تتنقل بينها، كأنما تتنقل بين همومه ومشاغله ومعاناته وانطباعاته، فهو يبوح من خلال وجهه، ويترك ملامحه تفصح عن حاله واحواله باللغة التي يجيد والتي جعلها مطواعة لريشته وألوانه.

وتبدو وجوهه، عموما في تدرج يمتد، من اجادة لعبة الضوء والظل في مساحة الوجه، هادفا في البداية الى مطابقة الاصل، ليصبح في النهاية اكثر اهتماما بتكثيف التعبير، واعتبار مساحة الوجه مجالا للعبة فنية اكثر تركيبا وتعقيدا من الوصول الى تمثيل الشخصيات المرجعية. وقد لاحظنا اهتمامه في البدايات بخلفية الرسم محاولا شحنها بتجريدات لونية تساعد على ابراز او اضاءة الوجه، وتشكل عاملا مكملا له، من الناحية التأليفية، في حين رأينا في وجوهه الاخيرة دخول الابيض الى اللوحة بشكل طليق، اذ في لوحة «فلاح لبناني» مثلا، يبقى الوجه عاريا امام المساحة البيضاء، ثم ان المساحة البيضاء تغزو ألوان الوجه نفسها.

جرأة الابيض

وهو في اي حال، يدخل بياض اللوحة لونا جديدا، يتقن استخدامه في اعماله الاخرى التي شاهدناها في المعرض. فالابيض وعاء الالوان من جهة، ونوافذ الضوء الى اللوحة من جهة ثانية، والنبض المتحرك في اللوحة والمحرك لحياتها من جهة ثالثة، خصوصا في المراحل الاخيرة، تؤكده لوحات صخور ميروبا ومناظرها الطبيعية ومشاهد بيوتها. في لوحات مراحله الاخيرة عموما، حيث جرأة الابيض برزت بشكل اوضح منه في ثلاثينيات تجربته.

ولعل تجربة البياض في اللوحة بدت اكثر حضورا في اللوحات المائية، الاكثر احتمالا لاشتعاله، اساسا، بالمقارنة مع الزيتية مثلا. والمحطة المائية في تجربة عمر انسي هي الاقدر على بلورة ريادته الابداعية، وهو معلم تقنيتها للاجيال من بعده وقد استطاع ان يعالج في مائياته موضوعات مختلفة، ويحول مساحاتها الى لونية شعرية تقترب من السحر البصري، لغناها بالحركة والحيوية ولتجريب اساليب مختلفة في ادائه لها، ولقدرته على الجمع بين البساطة اللونية وبين شحنها باحتمالات الاختصار والتكثيف واغنائها بتعبيرية حسية فيها من الطلاقة ما يخولها ان تكون سهلة الهضم، خفيفة، ومطربة للعين في آن.

معلم المائيات

تقنية المائيات لدى انسي متنوعة، من حيث تجريبيتها في توسيع درجات الالوان من الابيض الذي يشكل نافذة حرة للعين، وما يجاوره من مسحات لونية خفيفة وبليغة الشفافية، ولغاية الالوان المسمكة نسبيا، والتي تحتمل طبقات متراكبة صادة وحاجبة للضوء، وفيها من القسوة والقتامة ما يظهر حسن الضد بجلاء وفتنة.

وما يبرز ايضا، في محاولات الفنان الراحل، اغناء مائياته ايضا، اذ انه يتقص دائما تحويل الكتل اللونية التي تؤدي غرضها في تلوين المنظر الطبيعي مثلا، الى مادة رمزية تمثل شكلا بشريا في اكثر الاحيان. وبهذا يؤنسن الفنان مشهده بأسلوب يتقن الجمع بين الواقع والمتخيل، بين المباشرة والرمزي، بين الانطباعية

١٩٨٩ ١١ أكتوبر

المركز العربي للمعلو

والتعبير. وهذا، ان دل على شيء، انما يدل على الطلاقة التي يتمتع بها انسي في مائياته وارتياحه للمادة التي انتج بواسطتها اجمل روائعه.

ولعل ارتياحه للمادة المائية هو الذي اخذه الى تجريب اقصى درجات التجريد في لوحته. فالاختصارات او الاختزالات التي نشاهدها في مائياته ابرزت درجة متقدمة من التجريد وتحويل اللوحة اللبنانية عن مهمة تمثيل الواقع واجادة تصويره بالاقتراب من الفوتوغرافية، الى اسلوب حداثي. وهنا يبدو افتراقه مثلا عن تجربة الآخرين من مجايليه، وحتى من اتى بعده (رشيد وهبي مثلا)، وتخطيه للوحة السياحية التي تؤرخ للطبيعة والشخصيات.

ولعله هنا يقترب من تجربة سيزان في تعامله مع المنظر الطبيعي، فاختصاراته شكلت منطلقا حداثيا في التجربة التشكيلية اللبنانية، اذ جعل تصويره ينتقل الى ما هو نصف تمثيلي، اي الى مرتبة وسط ما بين الواقعية التصويرية والتجريد اللوني. وحول مادته اللونية الى اداة للتعبير عن حسه الداخلي اكثر من تعبيرها عن الواقع في الخارج، فاجاد لعبة الدخول الى الواقع والخروج منه، واخذ ألوانه الى اداء رغبة ذاتية وتحقيق الوصول الى انتشاء او امتلاء وجداني روحاني.

تقشف

ينسحب هذا الكلام على مائيات الطبيعة الى تنويعات الغزلان والشجرات المنفردة والبيوت. وفي الغزلان تبرز بشكل جلي طلاقة ريشة الفنان ورغبته الجامحة في الاستمتاع بتأليفاته وضربات ألوانه الخفيفة المختصرة، التي تطمح الى ابراز حركة الغزال وشعرية المشهد اكثر مما تطمح الى اجادة الشبه. وهو هنا يبدو اكثر تقشفا في التفاصيل وفي استخدام الحوارات اللونية والتضاد، حتى انه ينتقل احيانا بهذه الآلية الى تجسيد ذلك الاختزال ببضع ضربات خطوطية بالريشة او بالقلم.

وبالانتقال الى لوحات العري الانثوي، من اعمال المعرض، فإن ما يتميز به، فيها، ابتعاده عن الاسلوب الذي يطمح الى فضح الجسد وابراز الجماليات الانثوية الحسية فيه، فيبعده عن النبض الداخلي والحرارة فتتمايز بذلك، تلك اللوحات عن الحركة الموجودة مثلا في الغزلان والطبيعة، وحتى في وجوه شخصياته، ويبعد الجسد - وبشيء من الخجل عن الطراوة، جانحا به احيانا الى آليات الطبيعة الصامتة.

لاحق انسي العاريات، كما المشاهد الطبيعية والريف اللبناني والوجوه التي تجذبه من بدوية وفلاحية، فجالت ريشته حيث جالت عينه احيانا، إلا انه وهو البيروتي ابن المدينة كان مشدودا الى المنظر الريفي والشعرية الريفية، مستجيبا ذاكرة ريفية في المدينة. وهذا ما لاحظناه في اللوحات البيروتية التي بقيت في تصويرها عند الاطراف الريفية للمدينة، وقد بدا الفنان من خلالها، ميالا الى جماليات الريف، والى دفء الاماكن المعزولة المتفردة، البعيدة عن زحمة المدينة وضجيجها.

متحف سرسق اذا «يعري» تجربة واحد من كبار فنانينا التشكيليين، بتقديمه من اوجهه كلها، يدخلنا الى عالمه المتنوع، فنشعر بعشقه للالوان والفن، وبشعرية تعامله مع فضاء اللوحة.

احمد بزون